

تداعيات الهجرات الجزائرية خارج البلاد ودورها في الكفاح الوطني

The implications of Algerian migrations abroad and their role in the national struggle

✍ بن مصطفى جميلة*، جامعة تلمسان، الجزائر، djamila2456@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025-07-14 تاريخ القبول: 2025-07-20 تاريخ النشر: 2025-09-24

Abstract**ملخص**

The Algerian migration movement began shortly after France's occupation of Algeria in 1830. It was one of the outcomes of France's brutal and oppressive policies in Algeria, which included arbitrary arrests and repressive laws that affected all aspects of Algeria life. This movement was also influenced by the ideals of the Islamic university which encouraged Algerians to migrate eastward. Migration was initially seen almost as a moral crisis, emerging during a period of intense French repression, including the imposition of compulsory military service-a Key factor that led to continuous waves of migration that led to continuous waves of migration starting from 1830. All of this was a result of the harsh and oppressive French rule under which individual freedoms were lost. Algerians found themselves engulfed in suffering in all its forms. As the hardship intensified, the idea of fleeing the homeland in search of a better life became increasingly appealing. These factors combined to create the conditions that drove Algerians to emigrate to France. However, the reality was that the Algerian migrant often fell into a situation even more difficult than the one they had escaped. **Keywords:** Migration, Algerian immigrants, The French administration.

بدأت حركة الهجرة الجزائرية عقب احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م والتي كانت من بين نتائج السياسة الفرنسية الجهنمية المطبقة في الجزائر من اعتقالات وقوانين تعسفية مست كافة مجالات حياة الجزائريين، كما كانت هذه الحركة من منتجات الجامعة الإسلامية التي شجعت الجزائريين على الهجرة نحو الشرق، والتي ما كادت أن تكون ولاء أخلاقيا، إذ حدث هذا الولاء الأخلاقي أثناء شدة تعسف فرنسا مع الجزائريين بما فيه فرض التجنيد الإجباري المؤدي إلى موجات الهجرة المتواصلة منذ سنة 1830م، كل ذلك كان نتيجة ملامح الحكم الفرنسي الذي كان قاسيا واضطهاديا، وفي هذا المنوال ضاعت حرية الفرد الجزائري ما جعل الجزائريين يتخبطون في المعاناة بكل أشكالها، ونتيجة تصاعد وتيرة المعاناة التي لازمت الشعب الجزائري تعززت لديه فكرة مغادرة الوطن هربا من الاضطهاد وتبعياته طامحين إلى حياة أفضل، كلها عوامل هيأت ظروف الهجرة نحو فرنسا، والواقع أن المهاجر الجزائري وقع في قبضة ما هو أصعب من تلك المعاناة. الكلمات المفتاحية: الهجرة، المهاجرين الجزائريين، الإدارة الفرنسية.

مقدمة:

تعتبر الجزائر حجر الزاوية في بناء الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية وأكثر تلك المستعمرات أهمية للمواد الأولية وكقاعدة عسكرية، ومستوطنة استعمارية يتمتع فيها الأوروبيون الدخلاء بكل الخيرات والامتيازات، فيما أبنائها محرومون في عقر دارهم من أبسط مقومات الحياة جراء ترضي الأوضاع في شتى المجالات، وتزامن ذلك عقب تشجيع فرنسا للهجرة الأوروبية إلى الجزائر، بلاد الفرص والمغامرات والعيش الرغد، فتدفقت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر من مدن البحر المتوسط ومن ألمانيا وسويسرا وبلجيكا....، وأقتسمت أراضي الجزائريين الخصبة من طرفهم وطوروا زراعتها وعمروها واستصلحوها، ومدوا فيها الطرق البرية والحديدية وأنشأوا القرى على الطراز الأوروبي، وهكذا أصبحت الجزائر مستعمرة استيطانية قطعة من أوروبا في رقعة من الشرق كما كان يسميها الأوروبيون، كلها عوامل متكاملة ساهمت في اضطهاد الجزائريين وتهجيرهم ماحدى ببعض المجموعات الجزائرية إلى الهجرة باتجاه إلى البلاد العربية والإسلامية غداة احتلال فرنسا للجزائر 1830م وتواصلت الهجرات نحو البلدان الأوروبية وبالضبط نحو فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى. (بشير ملاح، 2006، الصفحات 319-447)

إشكالية الدراسة:

تهدف الدراسات إلى أن توافد الهجرات الجزائرية إلى الخارج سواء البلاد العربية أو الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا فقد ساهمت في زعزعت وتعثر الإدارة الفرنسية في الجزائر وفرنسا في تنفيذ إجراءاتها التعسفية وذلك من خلال دورها المتمثل في دعم القضية الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر وكما سلطت أحد الدراسات الأخرى على الأوضاع الصحية التي وصل إليها الشعب الجزائري نتيجة الحرمان والمعاناة التي تعرض لها الجزائريون من خلال تطبيق فرنسا لقوانينها التعسفية منذ أن وطأت أقدامها السوداء أرض الجزائر الخصبة. (محمد الحمري، 2004/2005، صفحة 55)

وبناء على الاوضاع الّتي تخلّلت الجزائريين، تباد إلينا ترتب السّؤال التّالي الّذي يهدف إلى معرفة ماهي أهم تداعيات حركة الهجرة التي قادت الجزائريين للولوج خارج البلاد، وكيف كان تأثيرها في عرقلة الإدارة الفرنسية في ظلّ الأزمات التي كان يعانيها المهاجرون الجزائريون؟.

الغاية من هذا التساؤل هو فهم ومعرفة تداعيات حركة الهجرة الجزائرية واسهامها في انتشارال الجزائر من دائرة الاستعمار الفرنسي، مع تبين بعض الأزمات والصدمات التي لاقت الجزائريين.

أهداف الدراسة:

المراد من هذه الدراسة معرفة دوافع وتداعيات موجات الهجرات التي قام بها الجزائريون خارج البلاد نتيجة الضغوطات الاضطهادية التي عاشتها البلاد والعباد، والولوج إلى الدور المنوط الذي تزعمته الفئة المهاجرة أثناء هذه الهجرة، وكما تشمل من جهة أخرى ابراز تأثير هذه الهجرة على الإدارة الفرنسية، كما يأتي قصد هذه الدراسة ابراز العوامل المساهمة على هذه الهجرة الجزائرية نحو فرنسا والتطرق إلى الأزمات التي ترتبت عن هذه الهجرة والتي زادت المهجرين الجزائريين أزمة خلفت وضعا اجتماعيا مزميا لا يحسد عليه.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على تتبع الأحداث التاريخية لتداعيات الهجرة الجزائرية إلى الخارج من خلا اسهامها الفعّال لصالح الشعب الجزائري في سرد الحدث وتحليله، كل ذلك قصد الخروج بنتائج تسلط الأضواء الكافية على الأحداث التي وقعت خلال الفترة المدروسة مع الاستعانة في هذه الدراسة بالمنهج الوصفي التحليلي باعتباره يمثل صورة الشعب الجزائري.

الإطار الزمني:



يغطي التحليل الفترة الممتدة ما بين ثلاثينيات القرن التاسع عشر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية (1830-1956)، مع التركيز على أحداث مفصلية مثل: تداعيات الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، دور الهجرة في الكفاح الوطني، أسباب الهجرة الجزائرية إلى فرنسا وأهم أزماتها على المهاجرين الجزائريين.

2. الدراسات السابقة:

1.2. الحمري محمد: رسالة ماجستير بعنوان (التشريع الفرنسي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية ما بين 1870-1920، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2004-2005. (محمد الحمري، 2004/2005)

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز واستعراض الاجراءات الفرنسية الأولية للاحتلال الفرنسي في الجزائر الذي مسّ مختلف جوانب ومجالات الحياة الجزائرية، كما توضح هذه الدراسة سرعة تطوّر هذه الاجراءات التشريعية الفرنسية وتطبيقها في الجزائر من سنة 1870 إلى 1920م وتطبيقه على الشعب الجزائري في كافة الميادين الدينية والثقافية والاجتماعية وتأثيراتها بنوعها.

2.2. علامة صليحة: الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830-1962، عمالة الجزائر نموذجا_ دراسة تحليلية: أطروحة دكتوراه. (صليحة علامة، 2016/2017، الصفحات 516-518)

غاية هذه الدراسة إبراز الوضع المزري الذي آل إليه الشعب الجزائري نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية الممنهجة والمتبعة عادة الاحتلال الفرنسي للجزائر لاستعمالها لجل القوانين التعسفية الظالمة، وتوضيح الواقع الاجتماعي الذي عاشه الجزائريون اذ دحرجهم إلى حياة البؤس التي إتسمت بسوء الأوضاع الصحية وتفشي الأمراض والأوبئة، كلها ظروف مهدت الطريق أمام الجزائريين للهجرة خارج البلاد للخروج من حيز العبودية والاضطهاد الفرنسي.



3.2. قريشي محمد: رسالة ماجستير بعنوان الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1943-1954، (محمد قريشي، 2001/2002، صفحة 54)

تطلعت هذه الدراسة إلى تحليل واستقراء الضغوطات التي تعرض لها الشعب الجزائري من خلال القوانين الجهنمية المجحفة التي فرضتها الإدارة الفرنسية، كما تم التركيز على تبيان الأزمات الاجتماعية الناتجة عن مختلف السياسات الفرنسية والعسكرية والاقتصادية، إضافة إلى ذلك استعراض طبيعة حركة الهجرة التي قادت المجتمع الجزائري إلى الخارج وما ترتب عنها من صدمات ومعيقات كان لها أثر عميق على وضعية الجزائريين بفرنسا.

3. موجات الهجرات الجزائرية غداة احتلال فرنسا للجزائر:

1.3. الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام قبيل الحرب العالمية الأولى:

إتخذ الجزائريون الهجرة إلى بلاد الشام وسيلة قصد إيجاد حياة أفضل بعدما بدأ الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى باضطهادهم، إذ تعددت أسباب الهجرة الجزائرية إلى البلاد العربية، وأولها انعدام الحرية، فما دام القانون كان يعتبر الجزائريين رعايا، فإن الفرنسيين لم يعترفوا لهم بحقوقهم في التمتع بكامل الحريات المدنية والسياسية كمواطنين، وبذلك جعلت الجزائريين يكتشفون بأنه لا يمكنهم البقاء في وطنهم بأية حال، وبذلك هناك عدة أسباب منها ماهو سياسي والتي تتلخص أساسا في اقدام الإدارة الفرنسية بالجزائر في خرق قوانين السنة المحمدية واحلال القوانين الزجرية أو الاستثنائية التي حطمت آمال الشعب الجزائري، ولعل أشهرها المرسوم الصادر يوم 24 أكتوبر 1870م الذي نص على منح اليهود حق الحصول على الجنسية الفرنسية (عبد الحفيظ بو عبد الله، 2006، صفحة 98)، والذي جرد بمقتضاه أبناء الجزائريين من المشاركة في هيئات المحلفين الشرعيين التي تنظر في القضايا المقدمة إلى المحاكم واضطهاد الشخصيات المحلية، إضافة إلى العامل الثاني للهجرة

وهو تطبيق القوانين العادية بالنسبة للمعمرين ما جعل الجزائريين غير معنيين بالانتخابات البلدية والبرلمانية، وبموجب تطبيق هذه القوانين تم عزلهم عن الحياة السياسية، فقام الاحتلال الفرنسي بتهجير القادة والاعيان على مغادرة بلادهم (سعد الله أبو القاسم، 1996، صفحة 192)، وعقب ذلك تم إتهام العناصر الفاعلة في الساحة السياسية والدينية بالتآمر ضد الفرنسيين أو بالارتباط بالاتراك أو الانضمام إلى مقاومة الأمير عبد القادر ونحو ذلك من الإتهامات حيث كانت الاسكندرية وازمير والحجاز مقر استقبالهم امثال: المفتي محمد بن العنابي، بومرزاق الباي مصطفى....، وكما استقبلت باريس حمدان خوجة وغيرهم، وهم من الذين شكلوا (لجنة الحضر) لمعارضة الاحتلال وطردهم الحاكم الفرنسي "كلوزيل" ثم خلفه "روفيقو"، وكما امتاز عهد "بوجو" (1841-1847م) بتهجير من نوع آخر لأعيان الجزائريوهو النفي والطرده خارج الوطن، فقد حكم على كل مشبوه وكل زعيم سياسي أو اداري من الجزائريين لم يتعاون مع الإدارة الفرنسية أجبر على مغادرة وطنه وعائلته، ثم نقل قسرا إلى سجون نائية في جزر بعيدة مثل: كاليدونيا الجديدة وكايان....، بالإضافة إلى سجون فرنسا، مثلا: سجن (الهام)، اذ اجبر هؤلاء الجزائريين على الهجرة من جهة، وعلى الإقامة بعيدا عن أرض الشرق والاسلام والعروبة، وفي عهد "بوجو" بالذات فكر الجزائريون وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في الهجرة الجماعية نحو الشرق، وقاسوا على ذلك ضرورة الهجرة بالدين من الأرض التي تغلب عليها الكفار، اذ رافقته عشرات من أتباعه وأقاربه وقواده وتوجه بعضهم مباشرة إلى المشرق وأجبر الباقي على البقاء معه في سجون فرنسا إلى أن أطلق سراحهم سنة 1852م وواصلوا رحلتهم إلى المشرق ولاسيما بلاد الشام، ومن بين التاريخيين المهاجرين: قدور بن رويلة، وأحمد بوضربة، الكبابطي، وأحمد الطيب بن سالم، وكلما نشبت معركة أو انتفاضة أو تغيرت السياسة الدولية حدث تنشيط الهجرة إلى المشرق، وهكذا كان مصير الحاج عمر زعيم الطريقة الرحمانية الثائرة في بلاد القبائل، اذ هاجر بأهله وبولده الشريف بوبغلة وبنت الشريف مولاي ابراهيم إلى المشرق بعد ثورة 1857م، وهاجر أيضا من جرجرة سي الجودي الزعيم الشهير الذي عاصر عهد بوجو وعهد راندون في الجزائر، أما ثورة 1871م فقد أدت إلى تهجير زعمائها وخصوصا الشيخ سي عزيز الحداد الذي حمل إلى كاليدونيا وبعد

سنوات هرب إلى الحجاز والشيخ الونوغي (سعد الله أبو القاسم، 1992، الصفحات 119-127)، وبالإضافة إلى الأحوال الإقتصادية فقد كانت داعيا آخر مهما للهجرة ذلك أن الجزائريين كانوا يشكون منذ سنوات طويلة إلى السلطات الفرنسية من الضرائب الثقيلة، فقد كانوا يدفعوا الضرائب القانونية علاوة على ذلك الضرائب الدينية مثل: الزكاة، العشور، وضريبة السخرة، كالحراسة الليلية بدون أجر، كما فقد الجزائريون أراضيهم بسبب الاستعمار الاستيطاني وجلهم بقوا عمال فلاحين، كما كان التوزيع غير المتكافئ للميزانية مصدر سخط الجزائريين نتيجة عدم المساواة في توزيع فوائد الميزانية، ومن بين أهم أساسيات الهجرة الجزائرية مراقبة المؤسسات الدينية ومصادر الأوقاف وإدارة الشؤون الدينية من طرف فرنسا، إذ صادر الفرنسيون منذ 1830م الأملاك الدينية التي كانت تمول المدارس والفقراء، إذ بسطت فرنسا نفوذها على جميع الشؤون الإسلامية واستمرت الإدارة الفرنسية في التسلط على كل الأديان في الجزائر إلى غاية 1907م (أحمد توفيق المدني، 1995، الصفحات 132-150)، وهذا التمييز فقد أثار السخط والقضب من الجزائريين، إذ أنهم كانوا في الماضي يشعرون بعدم الأمن على أراضيهم وحريتهم إلى أن رأى الجزائريين أنه لا مستقبل لهم في بلادهم فذهبوا يشدون ملجأهم في الخارج.

وهناك اسباب أخرى منها عرقلة المجالس المحلية للتعليم والتمثيل النيابي غير الكافي وثقل الضرائب والقوانين الاستثنائية، وفقدان الحقوق السياسية إضافة إلى الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من بين الاسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية بعد ما لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم، إذ لم تكن مقصورة على مدينة أو اقليم، ولكن كانت عامة فقد غادرت بعض الأسر الكبيرة مدينة مليانة سنة 1899م وسطيف سنة 1910م متجهة إلى سوريا، كما غادر مئات الجزائريين قسنطينة وسطيف سنة 1911م متجهين إلى سوريا، ومن أشهر الهجرات هجرة تلمسان عام 1911م إذ غادر أكثر من 1200 عائلة باتجاه نحو سوريا بعدما باعوا ممتلكاتهم الثمينة وذهبوا في جماعات نحو ميناء ميلية في شمال المغرب ومنه أخذوا الباخرة إلى الشرق الأدنى، وبحلول سنة 1911م كان في سوريا

وحدها 20 ألف مهاجر جزائري، كما كان نفس العدد في المغرب الأقصى وتونس عام 1907م. (سعد الله أبو القاسم، 1992، الصفحات 119-122) ومن جهة أخرى كانت الجامعة الإسلامية دافعا آخر هاما في الهجرة الجزائرية فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر إلى ذويهم في الجزائر والتي كانت تصف الحرية والأخوة في الشرق الأدنى قد جعلت بعض الجزائريين يتشوقون لما يقرأون ويتوجهون إلى الشرق الأدنى، إضافة إلى ذلك بعض الجرائد مثل: "المؤيد" و"المهاجر" التي استنكرت باسم الجامعة الإسلامية الحكم الفرنسي الذي قاد الجزائريين إلى العبودية، وكما دعت هذه الجرائد الجزائريين إلى الهجرة إلى أرض الحريات، إذ كانت هجرة تلمسان وما صاحبها من تداعيات أخرى في شرق البلاد ووسطه، أكثر الهجرات التي هزت وجدان الجزائر وأثارت قلق ومخاوف الفرنسيين، ومن أشهر المهاجرين في تلك الفترة الشيخ محمد بن يلس زعيم الطريقة الدرقاوية. (سعد الله أبو القاسم، 1992، الصفحات 192-196) ومن الأسباب الظاهرية التي أدت إلى الهجرة هو قانون التجنيد الاجباري الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الشباب الجزائري استعدادا للحرب العالمية الأولى التي كانت على الأبواب. (محمد الحمري، 2004/2005، الصفحات 55-60)

2.3 مكانة ودور حركة الهجرة الجزائرية ببلاد الشام في الكفاح الوطني وتأثيراتها:

بحلول الحرب العالمية الأولى (1914-1918) توقفت حركة الهجرة الجزائرية وتمتع الجزائريون في الشرق الأدنى بحرية وسمعة محترمة وتولّوا المناصب العالية، وتحصلوا على تسهيلات الإقامة، كما اعفوا من الخدمة العسكرية وادخلوا في كل أنواع المؤسسات بما في ذلك الإدارة والمدارس، وكان الجزائريون ممثلين في جميع المستويات بعدد من المهندسين والأطباء والضباط والكتاب، ومعظمهم كانوا عائلات تمارس التجارة والمعاملات المالية، ومن خلال هذه الحرية أتاحت لهم الفرص ليبقوا في إتصال مستمر بوطنهم ومع ذويهم بالجزائر، وكانت معظم إتصالاتهم تصف فرنسا بأنها اسوأ دولة مضطهدة للجزائريين، واستثنوا في حديثهم التركيز على القوانين التي أحالت الجزائريين إلى عبيد وبؤساء، و نظام الاعتقال



السري والعراقيل التي وضعت في طريق العمل الحر وكل ما اضطهد الجزائريين ما أدى بهم الاسهام في الاحزاب السياسية والصحافة وحرية الاجتماع وتبادل الافكار إلى أن أضافوا ذخيرة جديدة لم يسبق لهم أبدا أن مارسوها، (سعد الله أبو القاسم، 1992، الصفحات 127-122) وبذلك ساهموا مساهمة فعالة في تدعيم القضية الجزائرية بإتهاماتهم المتكررة للحكم الفرنسي من جهة والتعريف بالقضية الجزائرية من جهة أخرى، إذ كان ذلك أكثر فعالية بعد الحرب العالمية الأولى بعدما ان أصبحت الحركة الوطنية عشية الحرب العالمية الأولى قوّة وضعت فرنسا في صف المدافع، حيث أعلنت فرنسا حالة الطوارئ ولم تكتف بوقف الهجرة وغلق الحدود بعد هلع 1911م، بل ردوا على دعاية الجامعة الاسلامية من خلال اصدار الإدارة الفرنسية صحيفة الاخبار والمبشر سنة 1907م مدّعية بأن فرنسا أمة اسلامية، وامتدّت هذه الحالة الدعاية إلى الشرق الأدنى، كل ذلك الجهود لجذب المهاجرين الجزائريين نحو جانب فرنسا واعدتهم بالالوسمة والمعونات وتحسين معاملتها لهم، وتماشيا مع مناوراتها الدبلوماسية استدعت فرنسا عام 1911م أحد ابناء الأمير عبد القادر وهو الأمير عمر إلى باريس لاستلام الوسام معدّة كلّ وسائل الاحتفالات والاشهار إلى درجة أن وسائل الاعلام والممثلين الفرنسيين في الجزائر والشرق الأدنى قد سخّروا دعايتهم ليظهروا أنّ المهاجرين الجزائريين وخصوصا عائلة الأمير عبد القادر لم يكونوا ضد فرنسا. (عباس فرحات، 2007، الصفحات 50-59) ولكن رغم هذه المناورات والدعايات الفرنسية حتّى كانت حركة الهجرة من الجزائر نحو الشام قد بلغت اوجها وبدأت تأتي أكلها في شكل حركات سياسية ونوادي ثقافية وادوار قيادية وتواصل مع الوطن الجزائري، إذ كان هناك علماء جزائريون قد زاروا الشام ثمّ رجعوا منه بافكار ظلت محفوظة، ومن هؤلاء الشيخ: سعيد بن زكري، وعبد الحليم بن سماية، ومحمد سعيد الزواوي، والأمير خالد، وعبد الحميد بن باديس، واحمد بن عليوة...، ولكلّ من هؤلاء دوره في الحياة الفكرية والسياسية في الجزائر (سعد الله أبو القاسم، 1996، صفحة 196).

4. دو افع الهجرة الجزائرية نحو فرنسا:

تعود جذور الهجرة الجزائرية إلى سنة 1832م، لأنّها السنة الّتي تفجّر فيها اضطهاد فرنسا للجزائريّين أكثر من أيّ وقت مضى، ممثلا في عمليات الإبادة الوحشية وفرض الغرامات الباهضة والمصادرات العقارية، ما حدا ببعض الجزائريين إلى الهجرة الّتي كانت بإتّجاه إلى البلاد العربية والإسلامية (المغرب، تونس، سوريا) من 1847 إلى 1914م، كما كانت الوجهة نحو البلدان الأوربية وبالضبط نحو فرنسا منذ الحرب العالمية الأولى والّتي حرّكتها دوافع عديدة وكانت عسكرية وإقتصادية بالدرجة الأولى وبعضها سياسية وإجتماعية.

من الأسباب الّتي دفعت الجزائريّين بالهجرة إلى فرنسا هي الأوضاع المادية المزرية والمعاناة الّتي كان يعيشها نظرا لفقد الجزائريين لأراضيهم، وتحوّلهم إلى عمّال أرض. (بشير ملاح، 2006، صفحة 319) ناهيك عن المساعي المبذولة لعرقلة ومعارضة إنشاء صناعات ثقيلة بالجزائر ليس من قبل المستوطنين فقط وإنّما من فرنسا نفسها لأنّ ذلك سيؤدّي إلى رفع الأجور ورغبة منها فب إبقاءها تابعة للإقتصاد الفرنسي، إضافة إلى هذا فإنّ البطالة كانت تضرب بخيوطها في أوصل المجتمع الجزائري حتّى أصبحت قلت فرص العمل وإنعدمت (عمار بوحوش، 1979، صفحة 149)، ولهذا السبب تراجعت الأجور بالجزائر في حين أنّ فرنسا كانت تشهد إرتفاعا دائما للأجور، وإلى جانب هذه الدوافع هناك سبب آخر إقتصادي دفع بالجزائريين إلى الهجرة وهو حجم الأسرة الكبير وهو عامل هام لأنّه عادة الأسرة الكثيرة العدد يصعب عليهم رفع مستواهم الإقتصادي والمالي وذلك لقلة المدخول وكثرة المتطلّبات العائلية لذلك رأى الكثير من الأفراد الهجرة وسيلة لتحقيق ضروريات الحياة أملين أن يتلقّو أجورا تمكّنهم من توفير حاجيات أفرادعائلاتهم، زد على ذلك إختفاء بعض الصناعات التقليدية وظهور الأزمات الإقتصادية أدّى إلى تفكير أغلب الجزائريين بترك مناطق إستقرارهم والبحث عن بلد يضمن لهم معيشتهم وكانوا يعملون هؤلاء المهاجرين خاصة في قطاعات الصناعة العسكرية والميكانيكية والبناء والأشغال العمومية والمناجم والنقل، وتركز معظمهم في مناطق الشمال وباريس ومرسيليا وليون (بشير ملاح، 2006، صفحة 322).

ومن الأسباب العسكرية (التجنيد) وهو السبب الأول الذي أدى إلى الهجرة هي الخدمة العسكرية التي جعلت بعض الشباب أن المجتمع الفرنسي قد قبلهم ومنحهم بعض الحقوق التي لم يحصلوا عليها في بلادهم، أما السبب الثاني هي الحروب الطويلة التي خاضتها فرنسا في القرن العشرين وخاصة من 1946 إلى 1962 والتي إمتصّت هذه الحروب طاقات الشباب الفرنسي وترك الإقتصاد الفرنسي يعاني النقص الفادح في القوة البشرية التي تتطلبها التنمية الصناعية (عمار بوحوش، 1979، الصفحات 163-164). ولتدارك هذا النقص شجعت السلطات الفرنسية الجزائريين إلى أراضيها لشدة إحتياجها إلى اليد العاملة وإلى الجنود، إذ نقلت إلى الضفة المقابلة من البحر المتوسط نحو 270000 جزائري بين جنود وعمّال ومزارعين (بشير ملاح، 2006، صفحة 322).

كما يوجد أسباب سياسية تتلخص أساسا في إقدام الإدارة الفرنسية بالجزائر في خرق قوانين السنة المحمدية وإحلال القوانين الرّجّرية أو الإستثنائية التي حطّمت آمال الشعب الجزائري، ولعلّ أشهرها المرسوم الصادر يوم 24 أكتوبر 1870 الذي جُرد بمقتضاه أبناء الجزائريين من المشاركة في هيئات المحلفين الشّرعيين التي تنظر في القضايا المقدمة إلى المحاكم وإضطهاد الشخصيات المحلية، إضافة إلى العامل الثاني للهجرة هو تطبيق القوانين العادية بالنسبة للمعمرين وأصبح الجزائريون غير معنيين بالإنتخابات البلدية والبرلمانية... وبموجب هذه القوانين وتطبيقها تمّ عزلهم من الحياة السياسية، كما إستطاعوا الإستيلاء على أراضي شاسعة والتخلص من الجزائريّين المناهضين لهم، ومن العوامل تزايد نشاط قادة رجال الأحزاب الوطنية والطبقة المثقفة التي أصرت على إظهار إمتعاضها من المعاملة السيئة التي تلاقىها من الجالية الأوروبية بالجزائر، كذلك غياب المنظمات التي تمثل الجزائريين وتدافع عن رأيه. (عمار بوحوش، 1997، الصفحات 150-160)

أما ثقافيا فإنّ سياسة فرنسا في هذا الميدان قامت على نشر الأمّية وسط الجزائريين ما ساهم كثيرا في عجلة الهجرة نحو الأمام، فالسياسة التّعليمية الفرنسية بالجزائر نجحت جزئيا في غلق أبواب التعليم بمحاربة اللغة العربية، بضرب المؤسسات التعليمية، وحظر



فتح المدارس والكتاتيب إلّا بترخيص من الإدارة الفرنسية وإبعاد العربية عن الحياة العلمية المفيدة، ونتيجة هذه السياسة والحرمان من التعليم فضّل عدد كبير من الجزائريين الرحيل إلى بلدان أخرى للدراسة خاصة وأنّ المناصب الشاغرة والوظائف الهامة كانت مبنية أساسا على الكفاءة العلمية والمؤهلات الثقافية ما جعل فرص العمل تكاد تنعدم لأبناء الجزائر في الوطن الأم، ماعزّز فكرة الرحيل بالوجهة إلى فرنسا لعلّ ذلك يمكنهم من التعلّم والحصول على وظيفة. أمّا عن الأسباب الإجتماعية التي أدّت إلى طرد الجزائريين إلى فرنسا فتتلخّص في المشاكل الإجتماعية التي كانت تعترض طريق الشعب الجزائري فلا سكن لائق ولا علاج ولا وجود لأيّ مصلحة تخدم الجزائريين، إضافة إلى تدهور مستويات المعيشة وإرتفاع الأسعار مع تدني الأجور أو المداخيل، وأثبتت التجربة أن الدّين رحلوا سابقا نحو فرنسا حال فهم الحظ في تحقيق تمنياتهم وتحسين معيشتهم. (عمار بوحوش، 1997، الصفحات 160-163)

كما يعتبر العامل الديمغرافي سببا مهما في الهجرة نحو فرنسا، فالزيادة السريعة تعتبر الدافع الكبير للهجرة وخاصة في بلد إرتفع فيه مستوى العناية الصحية وقلّت الوفيات، وبما أنه كان هناك نمو ديمغرافي سريع فقد خلف مشكلا مع تدهور المعيشة، وهكذا كانت الهجرة نحو فرنسا، وكان الشباب يمثل أكبر من نصف السكان، ونتيجة ذلك أصبحت الجزائر لا تتحمّل كلّ هذا الضغط الديمغرافي، ولذلك بدأت الحكومة الفرنسية في تطبيق سياسة الباب المفتوح في ميدان الهجرة، وبذلك إقتنع الجزائريون بأن الهجرة أهمّ وسيلة تمكنهم القضاء على بؤسهم في الجزائر. (Ahcène ZAHRAOUI, Mohamed MAZOUZ, 1985, p. 14)

5. أهم الموبقات التي واجهت الجزائريين بفرنسا:

هاجر الجزائريون إلى فرنسا قصد إيجاد حياة أفضل، ولكنهم لم يتوقّعوا أن يصطدموا بمعاملة أكثر تآزّما، حيث أنّ أغلب الجزائريين الذين رحلوا إلى فرنسا دون عقد عمل والذي كان يمنح من طرف الديوان الوطني للهجرة بالإتفاق مع وزارة العمل، إذ لم يكن لهم الحق في

العمل إلاّ للبعض منهم وفي المصانع والمناجم الخطيرة ذات المهن الوعرة دون أي تأمينات، خاصة وأن عقود العمل التي كانت تمنح للجزائريين بالجزائر للراغبين في الهجرة قليلة جدًا.

إنّ سياسة فرنسا في ميدان تشغيل اليد العاملة الأجنبية داخل فرنسا كانت مبنية على التمييز والعنصرية، حيث كان العامل الجزائري يتحمّل الكثير في سبيل إرضاء رب العمل مظهرًا له الإخلاص والوفاء في عمله الذي كان ينحصر في الأعمال الشاقة والخطيرة، وحسب تقرير رسمي فإن عدد البطالين الجزائريين بفرنسا قد كان يتراوح ما بين 25 و30% من العدد الإجمالي للجزائريين بفرنسا. (جيلالي صاري، محفوظ قداش، 1987، صفحة 221)

ويعود سبب تطوّر نسب البطالة في وسط المهاجرين الجزائريين إلى سوء سياسة الحكومة الفرنسية في إستغلال اليد العاملة الجزائرية والفوضى المتبعة في عملية توزيعهم على المناطق المحتاجة لليد العاملة،

ونتيجة هذا التوزيع للمهاجرين الجزائريين العنصري، إشتغلوا في القطاعات الأقل أجرا والتي كانت منبوذة من الفرنسيين مثل ورشات البناء والمناجم...، ومازاد من حدة معاناة المهاجرين المعاملة القاسية والحرمان من كلّ المزايا التي كان يتمتع بها العمل الفرنسي، إضافة إلى ساعات العمل المفروضة عليهم يوميا من 12 إلى 14 ساعة وبأجر زهيد مع عدم ضمان الإستمرار في العمل، في حين بلغت ساعات العمل عند العامل الفرنسي 08 ساعات يوميا وبأجر كبير (يحيى بوعزيز، د.ت، صفحة 58)

رغم نسب البطالة التي إرتفعت في صفوف المهاجرين الجزائريين بفرنسا إلاّ أنّ الهجرة بقيت متواصلة نحو فرنسا إلى غاية إنطلاق الثورة التحريرية. (جيلالي صاري، محفوظ قداش، 1987، صفحة 221)

كانت أخطر مشكلة واجهها الجزائريون بفرنسا مشكلة إيجاد مأوى لهم يحميهم من قساوة الشتاء في فرنسا، فأكثرهم كان يقضي الليل في الشوارع وتحت الجسور، ما جعل أكثر العمّال يقيمون في أماكن لاتحمل سوى سمات البؤس و الشقاء في مناطق قدرة، حيث كانت

مساكنهم لا تتوّقّر على أدنى شروط الحياة الصحية هذا بكثير من العمال إلى إنشاء أحياء قصديرية وأكواخ قريبة من مقرّات عملهم تنقص عليهم قساوة البرد وعناء الشارع. (جيلالي صاري، محفوظ قداش، 1987، صفحة 222)

ونتيجة هذه الظروف القاسية ظهرت بعض النّداءات الإنسانية من طرف بعض الفرنسيين قصد إيجاد حلّ عاجل للمشاكل الإجتماعية، فظهرت جمعية بفرنسا منذ 06 مارس 1936 عرفت بإسم " لجنة الصداقة الإفريقية" والتي أنشأها الماريشال " فرانثي ديسبيري" وأنشأت هذه اللّجنة ديارا لجمع مهاجري شمال إفريقيا في محل واحد عرف بإسم "دار العسكري" لكن هذا المقر لم يتّسع لعدد المهاجرين المرتفع حيث بقي الكثير يعاني من مشكلة السكن، وحتّى وإن تمكن البعض من إيجاد مأوى مقبول لهم فإنّ ذلك سيضيف لهم مشكلا آخر وهو أجر هذا المأوى، وهذا ما يزيد الطين بلّة على ميزانية هذا العامل البسيط، خاصة وأنّه مجبر على إرسال جزء من أجره إلى أفراد عائلته بالجزائر لإعالتهم. (بريستير ايفيه، 1989، صفحة 61)

كما قامت السياسة الفرنسية بحشد الجزائريين في مراكز ومحتشدات ضخمة ومهملة صحيا حتى تسهل لها عملية مراقبتهم، مهمة حالتهم الصحية هادفة من ذلك إلى إضعاف صحة العمال لا يقدرّون إلّا على أداء وظيفتهم ليكون وقتهم مقسّم بين العمل نهارا والنوم ليلا في محتشدات تنعدم فيها الرّاحة. (يحيى بوعزيز، 1958، صفحة 58)

وإنّ أغلب الذين هاجروا إلى فرنسا قصد العمل أجريت عليهم فحوصات طبية أثبتت سلامتهم من كل الأمراض، لكن سرعان ما أصيبوا بأمراض خطيرة بعد إقامتهم بفرنسا بعد إقامتهم في المنطقة الباريسية أين توجد أغلب مدن الصفيح، حيث كان المستوى المعيشي متدهورا للمهاجرين، وهو ما أثر على صحتهم زيادة على ظروف العمل الصعبة، وسوء التغذية وتغيير المناخ، ونتيجة ذلك كان مرض السل الداء رقم واحد الذي عرف إنتشارا واسعا وسط المهاجرين الجزائريين والذي أثر سلبا على صحّة العمّال، كما أنّ إزدحام عدد كبير في غرفة واحدة ساهم في إنتقال العدوى. (عمار بوحوش، 1979، صفحة 178)،

كان مرض السل يحصد مئات الأرواح سنويا بفرنسا، كما كان لمرض الزهري أو السفلس في وسط المهاجرين الجزائريين ضحايا كثيرون، فحوالي 98% من المصابين بهذا المرض والذي جاء على يد الفرنسيين، والواقع أنّ المهاجر الجزائري حتّى وإن إستطاع الفرار من شبح الفقر الذي كان يخيّم عليه وذلك بالحصول على عمل في فرنسا مكّنه من تحسين وضعه المادي، إلّا أنّه وقع في قبضة الأمراض الخطيرة وعلى رأسها مرض السل الفتاك. (يحيى بوعزيز، د.ت، صفحة 235)

6. خاتمة:

ارتبطت سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بتشجيع الاستيطان الأوروبي وتقديم المساعدات المختلفة على حساب الشعب الجزائري وممتلكاته، كل ذلك بهدف تثبيت الوجود الفرنسي وتكريس سياسته الاستعمارية ذات الأوجه المختلفة والمتربّتها عنها موجات هجرات جزائرية خارج البلاد كان لها صدى من خلال دورها في التشويش على الإدارة الفرنسية من جهة، وتفاقم أزماتها من جهة أخرى، كلّ ذلك تجسّد في عدة نتائج توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة:

نجد أنّ الاجراءات التعسّفية والتشريعات التي مارسها الاحتلال الفرنسي في الجزائر لم تمس جانبا واحدا، بل تعدّدت في كلّ الجوانب لتؤثّر على الجانب الاجتماعي مسفرة ومدحرجة بذلك الجزائريين إلى حياة البؤس والفاقة مخلفة وضعا مزريا لا يحسد عليه تجسّد في الظلم والحرمان والعزل عن الحياة وانهايار مستويات المعيشة إلى الحضيض ما أدى بالجزائريين بالولوج إلى الهجرة إلى البلدان العربية والاسلامية أملا في تحسين ظروفهم وتوفير الحماية لهم من بور الأوروبيين المتسلّطين.

إضافة إلى ذلك نجد أنّ المهاجرين الجزائريين بعدما لقوا دعما وتسهيلات جعلتهم يساهمون بصحافتهم وإتصالاتهم في فضح السياسة الفرنسية في الجزائر وتشجيع الجزائريين على الهجرة خارج البلاد ومبادرة النضال من خلال تشكيل النوادي والحركات السياسية لشلّ القمع الفرنسي الذي قاد الجزائريين إلى العبودية.



كما نجد أن السياسة الفرنسية المطبقة قد حوّلت الجزائريين إلى خمّاسين لدى المعمّرين بعدما كانوا ملاكا لأخصب الأراضي، ونتيجة تلك الأوضاع قد هاجر مئات العمّال الجزائريين إلى فرنسا بحثا عن العمل وتوفير لقمة العيش لأفراد أسرهم، ولكن الواقع أنّ المهاجر الجزائري حتّى وان استطاع الفرار من شبح الفقر الذي كان يخيم عليه إلّا أنّه وقع في قبضة الامراض الخطيرة وأشدّ الأزمات.

التوصيات المقترحة:

بعد قيامنا بهذه الدراسة استخلصنا بعض الاقتراحات والّتي من شأنها ان تكون فكرة ابحاث مستقبلية وهي كالآتي:

- اجراء دراسات تحليلية حول حقيقة القوانين التعسفية الفرنسية الّتي عان منها الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- القيام بالمزيد من الدراسات حول مدى فعالية الهجرة الجزائرية لابرار الدور النضالي للمهاجرين في عرقلة وفضح السياسة الفرنسية في الجزائر.

- ضرورة اجراء دراسات تحليلية تكشف مدى معاناة وأزمات الشعب الجزائري المساهمة في موجات الهجرة.

- الزامية الاهتمام بدراسة اوضاع الجزائر بعد الاستقلال لتجنب كارثة الأزمات الّتي عاشتها الجزائر غداة الاحتلال وتجنّب الوقوع في براثن الاستعمار وتببعاته.

5. الهوامش:

1- Ahcène ZAHRAOUI, Mohamed MAZOUZ. (1985). L'Algérie et l'immigration algérienne en France. France: Imprimerie tordyquerce.

2- أحمد توفيق المدني. (1995). هذه الجزائر (الإصدار 1). بيروت-لبنان: دار النشر.

- 3- بريستير ايفيه. (1989). في الجزائر يتكلم السلاح، نضال الشعب من أجل التحرير (الإصدار 1). (عبد الله كيحل، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.
- 4- بشير ملاح. (2006). تاريخ الجزائر المعاصر (المجلد ج 1). الجزائر: دار المعرفة.
- 5- بيلي برايسون، و اسامة محمد اسبر. (2017). موجز تاريخ كل شيء تقريبًا (الإصدار الثانية). القاهرة: العبيكان للنشر.
- 6- جيلالي صاري، محفوظ قداش. (1987). المقاومة السياسية 1900-1954. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 7- سعد الله أبو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية (الإصدار 4). بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 8- سعد الله أبو القاسم. (1996). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (الإصدار 1). بيروت-لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- 9- صليحة علامة. (2016/2017). الأحوال الصحية بالجزائر خلال الإحتلال الفرنسي من 1830-1962، عمالة الجزائر نموذجاً-دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 10- عباس فرحات. (2007). الشباب الجزائري. (أحمد منور، المترجمون) الجزائر.
- 11- عبد الحفيظ بو عبد الله. (2006). فرحات عباس بين الإدماج والوطنية 1919-1962، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، كلية التاريخ.
- 12- عمار بوحوش. (1979). العمال الجزائريون في فرنسا- دراسة تحليلية (الإصدار 2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.



- 13- عمار بوحوش. (1997). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 (الإصدار 1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 14- محمد الحمري. (2005/2004). التشريع الفرنسي في الجزائر وأثره على الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية ما بين 1870-1920، رسالة ماجستير. تلمسان: جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 15- محمد قريشي. (2002/2001). الاوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى 1945-1954، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية.
- 16- يحيى بوعزيز. (1958). سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 17- يحيى بوعزيز. (د.ت). السياسة الإستعمارية من خلال حزب الشعب الجزائري 1830-1945. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

